ولّادة لا تستكفي

تهاني العيدي

في المبتدأ بين شك ويقين

تعقيباً على صالح زيّاد وطفليه الباكيين!!

«الطفلان الباكيان في الملتقى الدعوي.. فلنسأل مقام الوزارة» بدأ عنوان المقالة مُربكا للمتلقي بين رغبة ورهبة وفضول وجهل.. وصولاً إلى الحد الفاصل بين الشك واليقين بأن ثمة دمعًا ودمغًا..

العنوان بوصفه مفتاحا بدا يافعًا كئيبًا قبل عبارة «الملتقى الدعوي» ثم تأزم في المنتصف ليثير سؤالاً مازال قائما: كيف تجتمع البراءة مع رصاصة البكاء والعنفوان مع رصافة العدوان والطهر مع الطمر والضمور مع الضمير في ملتقى دعوي يُختم بفاجعة ومفاجأة بصيغة جمع «فلنسأل» لا تقبل أنصاف الحلول والخلال..

المقالة بدأت بمفردة (مؤلم) وانتهت بسؤالين ما قبل آخره أشد إيلامًا وكأنه يختزل الوجع الذي استهلت به تلك المفردة التي شكلت الشرارة الأولى للمضمون..

المسافة بين الألم في المبتدأ والأمل في المنتصف والسؤال في المنتهى لا تقاس بدنس فضاء لا جاذبية فيه وتفاحة نيوتن هي الصورة.. والصورة في داخلها فزع وفي خارجها قزع وفي أسفلها قرع وفي أعلاها وجع وعلى جنبيها صدع.. والتغريدة تعويذة خداع البراءة فيها براعة والاستغلال استقلال والذم مديح مجموع والأذى إيداع موعظة ومذياع نفع..

الصورة تُرى وتتوارى وتُعرى بعُرى مؤدلجة مؤدلخة.. والسياق الكتابي سباق لا يركن إلى عناق صوري رشيد يوازن بين هذا وذاك وهذه وتلك..فكأن المناصحة مناطحة والمصالحة مصارعة..

بلاهة الخطاب اهتزت وما انبتت غير كل ذي عوج وبلاغة العنف في الخطاب الديني تجلت وغياب ترشيد الخطاب - أيا كان نوعه وكمه - إلى الوسطية بدا واضحا يشعر به الصغير قبل الكبير والداني قبل القاصي والجاهل قبل المتعلم والمتأمل قبل المأمول..ليس على الدين فقط بل في كل الاتجاهات والدين هو موجه لكلها فيستحيل أن نتغير ونحن لا نملك خطابا متزنا - بغض النظر عن صدق أو كذب ما نُشر -.. فالخطاب الديني يدفع بالتي هي أحسن وينبذ الأسوأ.. والعنف ما كان في شيء إلا شانه وأحاله يبابًا.. والرفق ما كان في شيء إلا زانه ورزنه.. فحري بنا أن نقف متأملين لفقه فقه الوسطية في كافة تعاملاتنا فهي منهج حياة جامع لكل شيء.. فتزينوا بالرفق وتشوهوا به على بينة وتبين تستووا بالدين على بصيرة فتحسن الحكمة قبل الموعظة فمرهم وقاية مع درهم رفاهية خير من وجع علاج أجاج.

فاصلة

لا تلوي على سوء لكنها تبوء بإثمها:

- الأسئلة بدت في الظل أكبر حجمًا من ساقها التي كشفتها الحقيقة..
- التعرية في أحايين تورية، وفي رواية توبة مُسْبَع مُستتبع، ونصوح نضوح!!

الرياض

الثقافي والمؤسسي (١)

د. أحمد بن علي آل مريع *

العلاقة بين الحركة الثقافية والأدبية خاصة والمؤسسات الرسمية علاقة معقدة من الناحية المعرفية والإداريّة معًا. والكتابة عنها أمر شائك لاختلاف طبيعة الممارستين. ولا يشفع لكل منها لأن يتماها مع الآخر أو يتقارب معه: أن كان في ذاته مليئا بالإرشادات والتعليمات؛ إذ إنَّ «فكرة» النظام في كل منهما مباين لـ«فكرة» النظام الآخر. ويمكن أن نقول: إنه إما أن يقيده وإما أن يفككه، وفي كلا الحالتين فالعلاقة غير محايدة.

لذلك ذهب عدد من المثقفين والأدباء حتى من الذين اشتغلوا بالإدارة والسياسة وتقلدوا حقائب وزارية مهمة، إلى التشكيك في قيمة المؤسسات حين ترعى الثقافة وتشرف عليها.. وأذكر أن معالي د. غازي القصيبي رحمه الله في محاضرته «ثقافة الثقافة» التي ألقاها في مركز الملك فهد الثقافي بالرياض عام ١٤٢٥هـ تعجب من وجود مؤسسة ترعى الثقافة، وصرح بأنه «لا يعلق آمالاً على وجود مؤسسة حكومية تعنى بالثقافة». ومع تقديري لتلك الآراء فإني أختلف معها، ليس لأنني الآن رئيس لمجلس إدارة مؤسسة ثقافية، لكن لأن هذا الفهم من قبلهم لم يحاول أن يستحضر طبيعة الوجود الحضاري الذي راكم تجربته، وحقق قدرًا من المكاسب على صعيد الاجتماع والخدمات والمؤسسات، وانتهى إلى تكوين مفهوم الدولة الحديثة. التي نعم فيها الأفراد بكثير من الحقوق والمكاسب التي لم تتحقق على مر التاريخ المعروف.

إن طبيعة العمل الثقافي (والأدبي بصفة أخص) تقوم على نبض الذات وحساسيتها والحركة الدائبة والتفاعل الإنساني المباشر مع الواقع والحاجات. وتلك الحركة الدائبة التي تتوسل التعبير المباشر والمتعدد بتعدد الذوات المتلقية والمنتجة والمتفاعلة من شأنها «الفوضى»، والفوضى هنا هي: الحركة التي تندفع إلى كل اتجاه. قد تبدو من خلال النماذج المفردة منتظمة وفي إيقاع تصاعدي أو تنازلي لكنها على المسرح الواسع للتجربة الواحدة يظهر فيها التعدد والتنوع، فما يكون واحدًا هناك وله انسجامه يكون في التجربة الثانية للمبدع نفسه مختلفًا أو مختلطًا أو مفككًا. فكيف يكون ذلك على مستوى التجارب والأفكار جميعا والحركة في جهاتها الشتى..

ذلك النشاط العظيم قد يكون مصدر أدب رائع، وفلسفة عظيمة، ورؤى باذخة، وأمثولات عابرة للثقافات والجغرافيا تُروى وتتناقل، ولكنه لا يصلح أن يكون منتجا لحضارة ولا صانعًا لتنمية ولا قائدًا لوجهة لأنه حركة بلا بوصلة وبلا اختيار ينحاز لممكن من بين الممكنات، ومن ثمَّ لا يمكن أن يكون مصدر استقرار أو رفاه. ولا يمكن لهذه الحركة الإبداعية- الثقافية النشطة أن تنتج حضارة إلا بالانتقال من مرحلة «الفوضى» إلى مرحلة «الحرية» وفرق هائل بين المرحلتين وبين المصطلحين...

الفوضى مدمرة للتاريخ والكيان المؤتلف الذي له خياراته ووجهته؛ لأنها في أيسر الأمور حركة متشظية لا أولويات فيها ولا اتجاه ولا بوصلة: تشبه النشاط المدمر لذاته كما يحصل في أمراض المناعة حين تفتك الخلايا ببعضها. والسرطان ليس بأكثر من نشاط مجنون غير منضو تحت نظام النشاط البيولوجي ولذلك يكون قتلا للوجود الذي ينتجه.. وفي التجربة الشعبية حين يأتي المطر وهو عطية السماء بإذن الله يخرج المزارعون «يشعِّبون(١) للماء»؛ يحتاجون إلى أن ينظموا تدفقه إلى مزارعهم في أخاديد تحفظه وتحفظ سبلهم، وتجنب مكتسباتهم خصوبة الحياة فيه.. وكذلك هو الحراك الثقافي والإبداعي يحتاج إلى أن ينتقل من حالة «الفوضى» الفرديّة إلى حالة الوعي بالآخر/الشريك الحضاري: مجتمعًا وقيمًا وتاريخًا ومنجزاتٍ ومكتسباتٍ، هذه الحالة هي «الحرية» التي تتكون ضمن نظام وبواسطته. وتلك هي الوظيفة الأهم في وجهة نظري التي تسوغ لنشوء المؤسسات سواء منها الحكومية أو المجتمعيّة؛ إنها مأسسة الإبداع والثقافة، ولا يعني هذا فرض الوصاية عليها ولكن أعني ترهينها من حالة «الفوضى» إلى حالة «الحرية». فهي تقنن هذا النشاط ضمن انتظامات يُسَهِّل ما يمكن أن أصطلح عليه بـ«التعاضي»(٢) معه من قبل الشركاء الحضاريين في المجتمع الواحد والكيان المشترك، فتتسرب معطياته الجمالية والفنية والرؤيوية شيئًا فشيئًا إلى الجسد الاجتماعي ليكون جزءًا معتبرًا من التجربة الحضارية الناجزة. كما توفر على المجتمع فرصة الاتصال بالتجارب الثقافية والإبداعية والتفاعل معها عن كثب، وبذلك تثري الحضارة ذاتها بهذه الخصوبة دون أن تتعرض للفوضى الحمقاء، وللكلام بقية.....

* رئيس مجلس إدارة نادي أبها الأدبي..

(١) يشعبون: يحفرون أخاديد صغيرة ليتحول إليها الماء ويجري فيها..

(٢) تحول العلاقة بين الحركة الأدبية والثقافية ومنتجاتهما والكيان الحضاري والاجتماعي إلى علاقة تشبه علاقة الجسد بأعضائه الحية..

أبها

مصر كلها تغرد

أميرة القحطاني

لا أعلم ما الذي خطر ببال شركة Odeo الأميركية حين قررت إطلاق موقع تويتر على الشبكة العنكبوتية، هل كانت تتوقع أن يصبح هذا الموقع العملاق بهذه الشهرة وبهذا الحجم؟ لا أعلم.

الغريب أن حصة المغرد ١٤٠ حرفا فقط وهو عدد لا يذكر مقارنة مع الفيس بوك، لكن ومع الوقت تجد نفسك تكتب مقالات بهذه الحروف القليلة وترى تفوقه الواضح على الفيس بوك.

في البدء كنت منزعجة من صغر مساحة الكتابة، ومع الوقت وجدته ممتعا ورائعا، وهو أن تعبر بأقل قدر ممكن من الكلمات مما يجعلك تضطر إلى التفكير أكثر من مرة قبل أن تغرد لذلك، تجد أن معظم التغريدات تحمل (حكمة) الكل في تويتر يفكر الكل، يبدع الكل، يقاتل من أجل كتابة تغريدة مميزة يتناقلها بقية المغردين ولكل بلد طعمه الخاص به.. الإمارات تختلف عن السعودية وتختلف عنهما البحرين وليبيا والجزائر وتونس وعمان واليمن.. في تويتر كل يغني على ليلاه.. أنا استوقفتني (مصر) هناك عالم مختلف تماما عن العوالم الأخرى التي تعيشها كل البلدان.. عندما تقرأهم تشعر أن مصر كلها تغرد وتشعر أنهم لا ينامون.. هذه حقيقة.. تغريداتهم لا تتوقف ليل نهار، بل تشعر أن الشمس في مصر تشرق ولا تغيب أبدا!

تُميزهم عن باقي الدول بخفة دمهم وهم كذلك في كل الأحوال وفي كل الظروف.. تجدهم يسخرون من حالهم وحال بلدهم وبطريقة تحمل نقدا لاذعا للساسة والمسئولين.

ما يحدث في الشارع المصري تجده في تويتر قبل أن يصل إلى وسائل الإعلام تقرأ أفكار جميع الكتاب والأدباء والإعلاميين لحظة بلحظة.. يتفاعلون مع الأحداث بطريقة سريعة تجعلك لا تتوقف عن متابعتهم.. النشطاء السياسيين تجدهم يتبادلون الكلمات واللكمات خلافاتهم مكشوفة يشاركهم فيها الشارع. أي خطأ يرتكبه مسئول وقبل أن يتحرك من مكانه تجده مجردا من حصانته الدبلوماسية ويحاكم في محاكم تويتر.

لا يوجد جبناء في (تويتر مصر) كلهم شجعان وهذه حقيقة يلمسها من يتابعهم.. لا أحد هناك يخشى طرح رأيه مهما كان هذا الرأي مخالفا، يقاتلون من أجل الحفاظ على مكتسبات ثورتهم الأولى وثورتهم الثانية.. الكل يتفاعل مع الكل.. في الفرح يستندون على بعض وفي الحزن يساندون بعض رغم كل الاختلافات والخلافات.. روحهم وكما يقال دائما (حلوة) صليبهم يعانق هلالهم رغم كيد الكائدين.

ورغم مرارة العيش وسوء الأوضاع الاقتصادية والأمنية وتخبط القيادات السياسية ترى ابتسامة المغردين وتلمسها خلف الصورة المرسومة تقرأ طرائفهم فتشعر أنهم أسعد شعب خلق على وجه الأرض.

دبي